منظور القص في رواية محمد عبد الحليم عبد الله (شجرة اللبلاب)

د. وجيه عبد الفتاح أحمد مطر (*)

مقدمة

عندما يتجه الأديب بعمله الروائي إلى القارئ، لا يقدم مادته الروائية مجردة أو في صـــورة موضوعية تقريرية، إنما يخضع هذه المادة القصصية لمنظوره (١)الذي يرى مـــن خلالـــه الأشـــياء ووفق تنظيمه الخاص، وإذا كان القص ظاهرة لغوية تقوم على علاقة التوصيل بين راو ومتلق وبين متكلم ومستمع، فإن تعدد مستويات التوصيل تؤدي إلى نوع من التعقيد، والروائـــي عنـــدما يقـــص أحداث عمله لا يتكلم بصوته إنما يفوض راويا تخييليا يقوم بعملية القص، يتجه هذا الراوي في نفس الوقت إلى مستمع تخييلي، فالروائي يتوارى خلف شخصية تخييلية تتولى عملية القص، سميت هـــذه الشخصية (الأنا الثانية) للكاتب، وهذه الأنا الثانية قد تكون غير ظاهرة في النص وقد يحدث تـــداخل بين مفهوم الراوي والكاتب، هل هما شيء واحد أم أن هناك فرقا بينهما ؟ من المـــستحيل أن يكـــون الكاتب والراوي شيئا واحدا؛ ذلك لأن الكاتب ومؤلف القصة العالم التخييلي، وهو الذي اختار الأحداث والشخصيات والبدايات والنهايات، بل هو الذي اختار الراوي، ولكنه مع ذلـــك لا يمكـــن أن يظهـــر ظهورا مباشرا في العمل القصصي؛ لأنه أسلوب صياغة أو لبنة مـــن لبنـــات الـــنص، فهـــو مثـــل الشخصيات والزمان والمكان – معنى ذلك – أن هناك مسافة بين الراوي والروائي،لا يمكن أن يكون الروائي هو الراوي،إنما هما شيئان مختلفان، فالراوي ما هو إلا قناع يتستر خلفـــه الـــراوي ليقـــدم عمله القصصي .

إن القول بأن هناك فرقا بين الروائي والراوي في العمل الأدبي أدى إلى شـــيء مهـــم هـــو اختفاء الراوي من العمل الروائي، فأدى ذلك إلى ظهور التقنيات الحديثة التي قامت عليها القصة في تحديد المنظور القصصي وابتداع صيغ أسلوبية جديدة .

وقد قسم (جان بويون) العلاقة بين الراوي والشخصيات إلى ثلاثة أقسام التي هي أقسام المنظور :

المنظور الأول: علم الراوي أكثر من علم الشخصية، الراوي > من علم الشخصية.

المنظور الثاني: علم الراوي مساو لعلم الشخصية، الراوي= الشخصية

المنظور الثالث: علم الراوي أقل من علم الشخصية، الراوي< الشخصية (٢)

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد كلية الآداب والعلوم بجامعة سلمان بن عبد العزيز في وادي الدواسر.

(١) يقصد بمنظور القص وجهة النظر التي تحكم وضع الراوي في الرواية , ويُكشف عن مستويات عرض الحكايـــة من خلال موقع الراوي , أو هو زاوية الرؤية عند الأديب، وهي مرتبطة بالطريقة التي يستخدمها الروائي لكي يقدم أحداث الرواية المتخيلة , والذي يحدد الطريقة التي تعالج عمله الروائي هو الغاية التي يهـــدف إليهـــا مـــن خلال الراوي , واختيار الطريقة مرتبط بالتأثير الذي يريد الروائي أن يحدثه في القارئ ؛ لـــذلك تتعـــدد زوايـــا النظر التي يعبر بواسطتها عنه . ويعرف (بوث .... زاوية الرؤية بقوله): إننا متفقون جميعا علـــى أن زاويـــة الرؤيا هي بمعنى من المعاني مسألة تقنية ووسيلة من الوسائل لبلوغ غايات طموحة)

(٢) انظر بناء الرواية – دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ – سيزا أحمد قاسم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١ ١٩٨٤– ص ١٣٢

وقد أطلق على العلاقة الأولى الرؤية من الوراء، لأن علم الراوي يفوق علم الشخصية، فهو يعلم خفايا الأمور وقد استخدمت هذه الطريقة، حيث يقوم الحكي على مفهوم أن الراوي يعلم كل كبيرة وصغيرة فهو محيط علما بالظاهر والباطن ويقدم مادته دون أن يخبرنا بمصادر معلوماته .

وأطلق على العلاقة الثانية الرؤية مع أن الراوي يعلم ما تعلمه الشخصية وفيها يرى الراوي كل شيء من خلال وعي الشخصية، ولا يقدم معلومات إلا بعد أن تكون الشخصية قد توصلت إليها فالأحداث والزمان والمكان والشخصيات تقدم كلها من خلال شخصية بعينها من الشخصيات ويستخدم الراوي ضمير المتكلم أو الغائب .

وأطلق على العلاقة الثالثة (الرؤية من الخارج) فالراوي لا يستطيع أن يقدم إلا ما يستطيع معرفته بحواسه – أي – الذي يراه ويسمعه فقط أما ما يدور بنفوس الشخصيات فالراوي يجهله، فهو يصف الحركة صوات فقط.

(وعلى حد علمي) خلت مكتبة الدراسات النقدية من عمل يتناول هذا الموضوع مما دفعني إلى الكتابة فيه.

أما المنهج الذي استخدمته في بحثي هو المنهج النقدي التطبيقي، والذي اقتضى تقسيم البحث إلى مقدمة و خمسة مباحث وخاتمة:

جاءت المقدمة لتبين أسباب اختيار هذا الموضوع ومنهج العمل فيه.

وكان المبحث الأول بعنوان: المنظور الأيديولوجي

والمبحث الثاني بعنوان: المنظور النفسي

والمبحث الثالث بعنوان: المنظور الموضوعي

والمبحث الرابع بعنوان : المنظور على مستوى المكان والزمان

أما المبحث الخامس فكان عنوانه:المنظور على المستوى التعبيري

ثم اشتملت الخاتمة على أهم النتائج التي توصلت إليه الدراسة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين فيه.

المبحث الأول: المنظور الأيديولوجي

يقصد بهذا المنظور وجهة النظر الرئيسة التي تحكم العمل الأدبي ويعرف" أوسبنسكي" هذا المنظور بقوله : (منظومة القيم العامة لرؤية العالم ذهنيا)[١]، وهذا المنظور يتخلل العمل الأدبي كله ولا يظهر منفصلا عنه، وقد كان الكورس في الدراما الكلاسيكية القديمة يلتزم بهذه المنظومة، فيقوم بالتعليق على الأحداث والشخصيات مقيما لها وفقا للأيديولوجية الحاكمة، وقد واصل الراوي القيام بهذا الدور في الرواية الكلاسيكية والواقعية، فقد ظل يعلق على أحداث الرواية ويقيمها إلى أن دعا الروائيون الجدد إلى ضرورة اختفاء شخصية الكاتب فلم تعد هذه الأيديولوجية تظهر بشكل مباشر، فلجأ الكتاب إلى أساليب حديثة ليوحوا للقراء بهذه القيم العامة، وامتنع البعض من الكتاب عن اتخاذ

(١) نقلا عن بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ – سيزا أحمد قاسم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٤– ص١٣٤

موقف عام وتركوا القيم النسبية الذاتية للشخصيات والقارئ لتتفاعل حرة مع بعضها البعض؛ وكانت من نتيجة ذلك أن أصبح المنظور الأيديولوجي الذي يحكم العمل الأدبي أبعد ما يكون عـن التحديـد القاطع، ويعتمد على الفهم الغريزي للقارئ وتتعدد احتمالات التأويل

وقد يطغى منظور أيديولوجي واحد في العمل الأدبي، وفي هذه الحالة تصبح كل القيم خاضعة لوجهة نظر واحدة، فإذا ظهر منظور مخالف على لسان شخصية من شخصيات الرواية أخضع هـذا المنظور إلى إعادة تقييم من وجهة النظر السائدة في العمل الروائي .

وقد تتعدد منظومة القيم التي تحكم العمل الأدبي فتكون الرواية متعددة الأصوات ؛ حيث توجد عـدة منظورات مستقلة داخل العمل الأدبي وفي هذه الحالة يمتنع الكاتب عن إخـضاعها لمنظومـة قـيم حاكمة ويترك الكاتب لكل قارئ أن يقيم العمل تقييما ذاتيا والتوصل إلي أحكامه الخاصة .

وتتحقق البوليفونية (تعدد الأصوات) تتحقق في المنظور الأيديولوجي للرواية عنـد تـوافر شـروط معينة

أ- تواجد عدة منظورات مستقلة داخل العمل

ب – يجب أن ينتمي المنظور مباشرة إلى شخصية من شخصيات المـشتركة فـي الحـدث – أي – بعبارة أخرى ألا يكون موقفا أيديولوجيا من خارج كيان الشخصيات النفسية

ج – أن يتضح التعدد المبرز على المستوى الأيديولوجي فقط، ويبرز ذلك في الطريقة التي تقيم بهـا الشخصية (وهي الوسائل المختلفة للأيديولوجيات المختلفة العالم المحيط بها)[١]

إن تعدد الأصوات أصبح سمة مميزة للرواية الحديثة، فقد ابتعدت هذه الرواية عن الصوت الواحد مع التطور الثقافي الكبير للعقل الإنساني وأصبحت النسبية المتعددة هي الأكثر مناسبة.

ويجب أن نفرق بين المؤلف والعمل القصصي عند الحديث عن المنظور الأيديولوجي، فالعمل الأدبي كائن مستقل عن مؤلفه فمن الضروري عدم الخلط بينهما، والمنظور الأيديولوجي ينسب إلـى العمل نفسه لا إلى المؤلف سواء وافقه الواقع أم خالفه،(وعندما نتحدث عن المنظور الأيديولوجي لا نعني منظور الكاتب بصفة عامة منفصلا عن عمله، ولكن نعني المنظور الذي يتبناه في صياغة عمل محدد، بالإضافة إلى هذه الحقيقة يجب أن نذكر أن الكاتب قد يختار أن يتحدث بصوت مخالف لصوته وقد يغير منظوره في عمل واحد أكثر وقد يقيم من خلال أكثر من منظور) . [٢]

فإذا تناولنا المنظور الأيديولوجي في رواية (شجرة اللبلاب) نجدها قد جمعت بـين الـصوت المنفرد وتعدد الأصوات، ففي بعض المقاطع نسمع الصوت الواحد صوت الراوي وهو يتحـدث عـن طفولته وهو يعطينا وجهة نظره ورأيه فيما تعرض له فيها من أحداث، كذلك وهو يتحدث عن والـده ويحكم على تصرفاته وأخلاقه وعاداته وتقاليده ولا ينسى أن يصرح بوجهة نظـره فيقـول: (كانـت طفولتي من ذلك النوع الذي يتعذر على الإنسان أن ينساه ... لم تكن طفولة عادية غافلة بلهاء. تمر أيامها على رأس الصغير فلا تترك فيه أثرا كما يمر بجوارك في الشارع بعض أناس، فلا تحس أنهم

(١) السابق ص ١٣٥- ١٣٦

(٢) بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ – سيزا أحمد قاسم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٤- ص١٣٦

مروا – بل هي على النقيض من ذلك واضحة الليالي والأحداث، كأن الزمن كان ينبهني أثناء مسيره إلى بعض ساعاته، بحركة غير عادية يأتياها . كما يقول المدرس لتلميذه بعد كل نقطة غامضة يشرحها:

أفاهم أنت ؟

أجل، كانت طفولة من نوع يتعذر على الإنسان أن ينساه.. إنني لا أذكرها الآن وأنا في ريق شبابي وريعان صباي، فتلفحني الحسرة على غلام هو صورة مني.

.....

غير أن هموم أيامنا الخوالي كثيرا ما تكون من أسباب إسعادنا في الحاضر، وبخاصة إذا أخذت متاعب الحياة في الانهيار أمام كفاحنا شيئا فشيئا، أعني أن محنتنا في الحاضر حينذاك تضؤل في أعيننا إذا قيست بهموم ماضينا فنقف لها صامدين ونستشعر تفاؤلا وسلاما، وهكذا كان شأني)[١] ويعلو صوت الراوي مرة أخرى وهو يبين عن وجهة نظره في والده الذي كان طرازا غريبا من الرجال (كان أبي طرازا من الرجال غريب الطبيعة شاذ الأطوار، اشتهر بين أقربائنا وأصدقائنا ومعارفنا بشدة عناده وتعصبه لرأيه ولو كان على خطأ . يحزن جدا إذا أجبره ظرف ما على أن يتراجع عما رأى ويكاد لا يحزن إن فقد منفعة أو غنيمة مادام قد فعل ما أوحته إليه نفسه إني أستعيد صورته الآن فأكاد أبتسم ونفسي مليئة بالألم ..... أبتسم و آسف معا من أجل هذا الرجل الذي لا يفتر عن مديح نفسه ولا التحدث عن ذكائه. كان يقول في الموقف الذي ينجح فيه : إن رأسي هذا ليس كرؤوس سائر الناس .... إنها جمجمة أقفلها الله على جمرة متوهجة نفاذة... إني ذكي !!أما إذا أخفق – وكثيرا ما يخفق – فإن عينيه الضيقتين تلمعان بأسف وعناد تحت جبهته البارزة الكبيرة ويقول: ليس في موقفي ما يعيب، إلا أنني رجل سيئ الحظ. ثم يمط شفتيه وهو لا يزال يردد : أجل سيء الحظ . ليس هناك أكثر من هذا !!)[٢].

كذلك يستمر علو صوت الراوي وهو يبين عن وجهة نظره فيما يدعيه والده من عبقرية (لم تكن جمجمته قد أقفلت على جمرة متوهجة نفاذة كما يقول. وإنما أقفلت على دخان .... أقفلت على لا شيء، أو على شيء لا يغني صاحبه فتيلا، لأن سبعة من المدرسين إخوانه قد انقلبوا عليه في يوم من الأيام، وأذاع كل فريق منهم إلى الآخر ما كان يسره إلى الناظر أيام الشقاق. وهكذا فسد تدبيره كما كان يفسد في الغالب، واشتهر بين الناس بجفاف الطبع وجفاء الخلق ! فعاش في فقر من الأصدقاء)[٣].

كما يكشف الراوي التناقض في سلوك والده خارج البيت وداخله (كانت طباعه بين الناس في الخارج آية من آيات الله في الشكاسة والصلابة، أعسر من الحديد يطرق وهو بارد، أما في البيت وبين يدي امرأة فقد كان طبعه رقيقا لا يقوى على اللمس ..... كان أبي قاسيا

(١) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ١٩٩٥ – ص ٥, ص٦

(٢) السابق ص ٦, ص٧

(٣) بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ – سيزا أحمد قاسم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٤ – ١٩٩٥ – ص ٨

عليّ..... كان رجلا كثير الهواجس سريع التصديق لا يعدو أن يكـون حزمـة مـن الأعـصاب معظمها تالف، حزمة من الأعصاب متوسطة القامة ترتدي جبة وقفطانا وتلبس عمامة وتتخيل أن أية ضحكة أو همسة في الطريق العام من إنسان مجهول، إنما هو المقصود بها لا محالة)[1].

وكذلك وهو يتحدث عما يعتمل في نفسه ورأيه في المرأة التي سوف يتزوجها والده، حيـث توقع منها كل الحنان الذي فقده بموت والدته فيقول: (هكذا كانت تفعل أمي معي إن غابت عنا قلـيلا ثم عادت وهكذا تخيلت أن المرأة التي سيتزوجها أبي ستجئ لتعمل هذا الذي تـصورته .... أشـياء ندفنها كلنا يوم ندفن الأمهات منها التافه والعظيم، ولكن التافه والعظيم منها أمام قلوبنا سـواء فـي القيمة.... وعند الصغار والكبار، لأنها أفعال الأمهات . لا علة إلا هذا.... الشئ نفسه سبب ومـسبب وعلة ومعلول !!) ([2]) .

ويرتفع صوت الراوي أيضا وهو يبين عن وجهة نظره في زوجة أبيه فيقول: (وبالغت فيمـا أخذت فيه حتى انتهى أمرها إلى الإسراف وحتى كان إسرافها على حساب حاجاتي أنا وأختي. كانـت أشبه بالظمآن يشرب الماء المثلوج فلا يزداد ظمأه إلا إوارا، ولعل التربية الجديبة التي خرجت منهـا إلى خصب نوعي كانت العلة الأولى والأخيرة، فقد كانت أشبه شئ بفريسة الإخطبـوط ضـلت بـين شعبه الكثيرة) ([3]) .

ويعلو صوت الراوي مرة أخرى وهو يعلن رأيه في زواج شيخ تجاوز الخمسين وهو والـده من فتاة في العشرين، ويرى أنه زواج غير متكافئ فمثل هذا الشيخ الذي تجاوز الخمـسين بزواجـه من هذه الفتاة التي تصغره بنحو ثلاثين عاما كمن يشرب الخمر أو من يبتلع قطعة من الأفيـون وإن شيخا في الخمسين وشابة في العشرين وإن جمع بينهما فراش واحد تقوم بين قلبيهمـا وجـسميهما هوة سحيقة (انقضت أيام قلائل على زفاف هذين العروسين: رجل أتلف عليه أعصابه نظام حياته في الخارج، فلما هوى تعلق بأذيال امرأة تسليه كمن يشرب الخمر أو يبتلع قطعة من الأفيـون، وامـرأة من بيت أشد فقرا من بيتنا، باعها أبواها لمن هو أعلى منها سنا ظنا أن ماله سيسعدها، وتقديرا أن أبي بالنسبة إلى بنتهما خير من عروس شاب من طبقة أبيها وأخواتها، ونسيا أن امرأة في العشرين ورجلا في الخمسين، تقوم بين قلبيهما وجسميهما هوة سحيقة وإن ضمهما فراش واحد)([4])

ويرتفع صوت الراوي وهو يخبرنا بالظروف التي تؤلف بـين الشخـصيات وتجعـل مـنهم أصدقاء (والتقينا في ظلال الصداقة أنا وراشد خليلين جمعت بيننا الظروف.

ما الظروف ؟!

(١) السابق– ص٩
(٢) السابق– ص ١٤
(٣) السابق– ص ٢٠

هي العناصر التي تؤلف من شخصياتنا القسم الذي لا اختيار لنا فيه، فأنا وأنت والناس جميعا تتكون نصف شخصياتنا على الأقل من مجموعة الظروف، يدخل فيها الولد والوالدان والوطن وأصدقاء الطفولة والصبا والشباب.)([1])

غير أننا نحس ونحن نقرأ الرواية أن هناك أكثر من شخصية تبين عن وجهة نظرها وتقيم وتحكم وتروي. من ذالك الحديث الذي دار بين(راشد) وبعض أصدقاء المدرسة ورأيهم في المرأة ودورها في الحياة يقول راشد:

(..... أما أنا فإنني أعد المرأة في الوجود شيئا مهما.... أعدها اليد التي تحرك الماء في الحوض الراكد وأعتبرها في كيان كل رجل، ومنها يكون النور. ومنها يكون الحبور)([2])

من الملاحظ أن في هذه الرواية – على الرغم – من تعدد الأصوات أو وجهات النظر إلا أن الراوي يخضع هذه الأصوات لوجهة نظر واحدة وهي وجهة نظره هو، وينتصر لرأيه وقد ظهر هذا في مواقف كثيرة منها : عندما تحدث بطلا الرواية (حسني وزينب) ورأي كل منهما في الحياة، فترى(زينب) أن الحياة شئ جميل ويجب أن نخطب ودها ولا نغضبها، أما (حسني) فيرى عكس ذلك وينتصر لهذه الفكرة وهي أننا نضيق بالحياة منذ لحظة الولادة وتقسو الحياة علينا، وكثيرا ما تتآمر علينا (..... أجل ..... ما أجمل الحياة ؟! إنني دائما أتملقها .... فكرتي عنها أنها كشخص يجب ألا نغضبه لأننا لا نستطيع على الإطلاق مقاطعته: فلماذا نغاضبه ونعود فنسترضيه ؟؟ حتى الذين يقررون مقاطعته: أجمع الناس على أنهم مغفلون...

- وكيف ؟؟
- وكيف ؟ .. المنتحر مغفل . والمنزوي مغفل . وال...
- أليس هذا الذي تريدين أن تقوليه باختصار ؟ ولكن اسمحي لي أن أسألك: أي طرف منا يتملق الآخر، أنحن الذين نتملق الحياة أم الحياة هي التي تتملقنا ؟ قلت أنت بالرأي الأول وأنا أقول بالنقيض ... إننا نصرخ ساعة نولد لأننا نضيق بها كما قال شعراؤنا الأقدمون، فلا تلبث الحياة أن تتملقنا وتمسحنا حتى نبسم لها بعد أن ننال من لبن الأم جرعة أو جرعتين ثم تقسو علينا الحياة .... وقد تكون قسوتها باكرة فتسخر من ضعفنا ونحن أطفال، وقد تؤجل مؤامرتها فلا تظهر إلا ونحن في ضعف الشيخوخة . وقد تكون بين بين فتفجعنا في أحلام شبابنا ... ولا تنسى أن ترسل لنا ونحن في سدف الظلام إشعاعا خفيفا من النور بعد إشعاع خفيف حتى لا نيأس. أما الذين تنقطع بهم أسباب الأمل فينتحر ون فإن الناس يقولون بعدهم إنهم مغفلون، ذلك لأن من بقي يؤمل بالنيابة عمن مات، ويزعمون أن الحلول التي

(١) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ١٩٩٥ – ص ١٩

(٢) السابق – ١٩٩٥– ص ٨٥

(٣) السابق– ص٨٨

كانوا يرجونها طرقت عليهم أبواب حجراتهم بنفسها، بعد أن كانوا في طريقهم إلـى النهـر بخمس دقائق.فقط!! ([1]) .

من ذلك أيضا الحوار الذي دار بين بطل الرواية (حسني)وصديقه(راشد) ورأي كل منهمـا فـي المرأة والحب، حيث يرى(راشد) أن المرأة شيء مهم لا نستطيع أن نستغني عنـه فهـي التـي تحرك الماء في الحوض الراكد، وهى الكهرباء الكامنة في كيان كل رجل، ومنها يكـون النـور، ومنها يكون الحبور، (أما أنا فإنني أعد المرأة في الوجود شيئا مهما ... أعدها اليد التي تحـرك الماء في الحوض الراكد، وأعتبرها الكهربة الكامنة في كيان كل رجل، ومنها يكون النور ومنهـا يكون الحبور)([2])

ويفصح بطل الرواية عن رأيه في الحب والمرأة وينتصر لهذا الرأي : (..... لا تحاورني، الحب امرأة تتغذى برجل في وضع من الأوضاع.... بجسمه وماله وشخصيته، كما حـدث لأبـي، أو بماله وجسمه، كما حدث لعم غانم، أو بجاهه، أو بعواطفه، وأهدأ ساعاته كما حدث لناس أعرفهم... لا تجادلني من فضلك .)([3])

لم تكن أيديولوجية (شجرة اللبلاب) تجاه الشخصيات محايدة، ففي حديث بطل الروايـة عـن زوجة أبيه، نحس في وصفه لها إنه ينتقص من شأنها فيقول:

(رأيتها بيضاء تدنو قليلا من الصفرة، ويلمع على جبينها الضيق شعر أسود مموج متكـسر كصفحة الرمل انحسرت عنه الأمواج وقد أضاء في منتصفه فرق ناصع، أما عيناها فإن بهمـا آثـار رمد قديم كما يبدوا جيدا من انكسارهما في الشمس، أما عرنين أنفها فكان كبيرا شيئا ما ومع ذلـك فإنها لم تكن تخلو من ملاحة ..... لست أجزم أنه كان حريصا على أن يتزوج مثل هذه الـشابة، ولكن هكذا اتفق له. ولعل لبقية جمالها التي نجت من براثن الفقر دخـلا فـي تورطـه فـي هـذه الزيجة)([4]) فالبطل يعلن رأيه في صراحة أن والده لم يكن على حق في الزواج من هذه الفتـاة، بـل تورط في هذه الزيجة وهكذا تنتصر وجهة نظره، وعندما تقدمت زوجة أبيه في السن يقول عنها:

(أما أم ربيع فقد كانت مذهولة، خيل إلي أنها كانت فـي حيـرة المحـسوبين علـى وزارة مستقيلة، لكنني لم ألق إليها بالا.)([5]) وأيضا في حديثه عن(أم فوزية) زوجة اللبان الذي كان يـسكن في منزله يقول: (لم تكن أم فوزية في جمال امرأة أبي، كانت على العكس تقرب أن تكـون دميمـة، تزوجها بعلها من قريته قبل أن تتيسر له أسباب الحياة فتحرى فيها أن تكون راضية بالحال . كانـت بائنة الطول بائنة النحافة سمراء جدا كأنها من سلالة النخل، لا تفارق شفتيها ابتسامتها المـصنوعة كأنما أرادت أن تستر ضمور خديها وأخذت أوازن بينها وبين أم ربيع فلم أجد في نطاقها (محفوظـا)

(١) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ١٩٩٥ – ص١١٠ -١١١

(٢) السابق – ١٩٩٥– ص٨٨

(٣) السابق– ص٧٧

(٤) السابق ص ١٨ –٢١

(٥) السابق– ص١٦٨

جديدا كأنني كنت في ذلك الحين أتخيل أن وراء كل زوج رجلا غريبا يتوارى خلف جدار أو ستار)([1]).

وكذلك حديثه عن أخيه (ربيع) الأخ غير الشقيق (.... وأما ربيع فهو غلام طردته المدرسة الأولية بعد أن ضاقت به، وخلاصة ما يقال عنه هو أنه نما في ظلال أم تحرص على سلامته وفي كنف والد ضعيف ملق إلى زوجته بزمام نفسه. ومن أجل هذا لم تكن لربيع خطة يختطها في الحياة)([2]) .

هذا الوصف لزوجة اللبان الذي كان يسكن عنده ووصفه لزوجته أم ربيع ولوالده لا نحس بتعاطف نحوهم، هذا بخلاف وصفه(لزينب) بطلة الرواية، فقد وصفها وصفا أخاذا نشعر منه أنه يحبها على عكس الشخصيات السابقة نحس إنه يشمئز منها وغير متعاطف معها، فإذا كان له مبرر من وصف زوجة أبيه بما يتضح إنه غير متعاطف معها ؛ لأنها عاملته معاملة قاسية، فليس له مبرر من موقفه من(أم فوزية) زوجة اللبان الذي كان يسكن في بيته، يقول في وصفه لزينب : (... كأن استدارة وجهها الخمري تملا وحدها الشاشة البيضاء في

(فيلم) ملون بالألوان الطبيعية فأبدأ في تفحصه برفق وعلى مهل...تفحصا ترافقه أنغام موسيقى تصويرية سماوية سحرية . فأبدأ بتلافيف شعرها الحالك المغدودن الغزير الذي ينحسر إلى الوراء عن جبين نظيف ناصع واسع، ثم أهبط فأرى عينيها السوداوين وأهدابها المشرعة، ثم أرى أنفها المستطيل الجميل الذي يشبه أبناء البلد أمثاله بقصبة الذهب، وأتأمل عقدة جميلة قريبة من أعلاه كالتي تراها في أنوف تماثيل الإغريق المرمرية) ([3]) إذا قارنا بين هذا الوصف الجميل(لزينب) بوصفه لزوجة أبيه نجد أن موقفه من الشخصيات لم يكن حياديا يقول في وصفه لزوجة أبيه :(استعرض حلقات عمري الذاهل المستكين الذليل فأرى زوجة أبي خلال سلسلته وكأنها حلقة من نار، فأستعذ بالله من شرور المرأة وأجهد نفسي في استعادة

الصورة الجميلة.)([4])

نلاحظ إنه– على الرغم– من تعدد الأصوات في بعض الأحيان في الرواية إلا أنها في النهاية تنتصر لرؤية واحدة هي رؤية الراوي، فالراوي كما رأينا يروي ويقيّم ويحكم، ويخضع تعدد الأصوات في الرواية إلى منظوره الأيديولوجي بعد أن يعيد تقييمه .

المبحث الثاني: المنظور النفسي

عندما يصوغ القصاص بناءه الروائي يتخير بين إحدى طريقتين إما أن يبني أحداثه وشخصياته من منظور ذاتي – أي – من خلال وعي شخصية من الشخصيات المشاركة في الأحداث أو أن يبني أحداثه وشخصياته من خلال المنظور الموضوعي – أي – من خلال وعي الراوي

(١) السابق – ١٩٩٥– ص٥٣
(٢) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ١٩٩٥ – ١٩٩٥– ص٦٧
(٣) السابق– ص٨٥
(٤) السابق– ص٨٥

وإدراكه، وهذا المنظور النفسي ينقسم إلى ذاتي وموضوعي، و قد يكون داخليا أو خارجيا، فسلوك الشخصية يمكن مراقبته من الخارج من خلال شاهد عيان خارجي، وقد يراقب ويقدم من خلال الشخص نفسه أومن خلال منظور شخص عالم ببواطن الأمور يعلم سلوك الشخصية ما خفي وما ظهر، بل تمتد هذه المعرفة إلى العلم بالعمليات النفسية والذهنية من أفكار وتأملات وانطباعات وأحاسيس والعواطف التي لا سبيل للشاهد العيان أن يتعرف عليها .

وينقسم المنظور تبعا لذلك إلى:

المنظور الموضوعي الخارجي ويسمى (الرؤية من الخارج)

المنظور الموضوعي الداخلي ويسمى (الرؤية من الوراء)

المنظور الذاتي الخارجي ويسمى (الرؤية مع)

المنظور الذاتي الداخلي ويسمى (الرؤية مع)

من الصعب الادعاء أن هناك نصوصا روائية تلتزم أحد هذه المنظورات الأربعة التزاما صارما؛ لأن المنظور الذاتي قد يتحول إلى منظور موضوعي والعكس فإذا نظر(أ) إلى الشخصية(ب) يكون المنظور بالنسبة إلى(أ) ذاتي وبالنسبة إلى (ب) موضوعي؛ لأننا نرى (أ) من الداخل ونرى (ب) من الخارج .

لقد كانت الدعوة إلى ضرورة التخلص من الروائي العالم بكل شئ جعلت القص يتجه إلى المنظور الذاتي؛ حيث ينحصر المنظور داخل وعي الشخصيات .

وقد يقوم بناء المنظور على حركة دائرية محكمة، فتبدأ الرواية بمنظور موضوعي خارجي / داخلي جمعي يتمثل في استخدام ضمير المتكلم(نحن) يمثل راويا جماعيا يقف خارج إطار الرواية ثم ينتقل إلى منظور ذاتي ومنه إلى منظور خارجي ومنه إلى ذاتي وهكذا .

فإذا تناولنا المنظور النفسي في رواية (شجرة اللبلاب)، وجدنا الروائي يعتمد على المنظور الذاتي ؛ حيث يبني أحداثه وشخصياته من خلال وعي شخصية من شخصيات الرواية، لقد تقوض أركان القص التقليدي كثيرا بظهور الرواية الذاتية، فقد كانت الرؤية الخارجية هى المهيمنة على القص، وقد أتاحت هذه الرؤية للمتلقي أن يدخل ذهن بطل الرواية وعوالم الخيال بما فيها من جموح، فتتداعى الذاكرة في الانفعالات والأحاسيس، كما أعطت الفرصة للروائي أن يلبس رداء البطل، وبذلك أتاحت له فرصة التحرك على مسرح الأحداث متخفيا في الوقت نفسه . وكان اعتماد الروائي على هذه الرؤية في خطابه الروائي، فقد اعتمد على حديث النفس أو الذاكرة الإرادية ؛ حيث يتحكم وعي البطل في السرد وينسج التداعيات الشعورية ولكنها بشكل محكم، فنلاحظ أن بطل الرواية بعد أن أدى امتحان العام الأول في المدرسة الثانوية أخذ يستعيد ما خطه قلمه في أوراق الإجابة، ويستمع إلى لغط التلاميذ وهم يتذكرون ما كتبوه، فيقف بعيدا عنهم خائفا وهو يوازن بين إجاباتهم وإجابته فيصيبه مشاعر الخوف من الرسوب وشماتة (عم غانم وزوجته ووالده وزوجة أبيه فيقول:

(أذكر أنني أحسست المسؤلية بمعناها الحقيقي طوال الأسبوع الذي انتظرت فيه نتيجة عامي كله.كنت خائفا مذعورا أحس كأن كل الناس أعدائي وكأنهم يتربصون بي الدوائر.آه إن رسبت !!

ستتنصل أم فوزية من كل مسؤلية وستصرخ في وجهي هاتفة : ألم أقل لك؟ ! وسيكبر ويحوقل(عم غانم) وهو يضرب كفا بكف ويقول: ألم أقل لك ؟! وستظهر أسنان أبي في وجهه النحيل الحائل وهو يبتسم – ولا أدري غاضبا أم شامتا أم آسفا – ألم أقل لك ؟ ! وستمصمص (أم ربيع) بشفتيها وتنظر نحوي بعينيها الكسيرة وهى تهتف: ألم أقل لك ؟! وستضرب (هنية) صدرها بكفها وتفتح فاها فزعا وحسرة ثم تميل هامسة : ألم أقل لك؟! المصيبة العظمى هي أن يدعي الجميع أنهم قالوا لي، وأن أبي سيقطع الحبل إن رسبت لأنه عاقل وذكي يتعظ دائما من التجربة الأولى) ([1]).

الحوار هنا أحادي / ثنائي في نفس الوقت صادر من بطل الرواية إلى الأخر، والأخر ليس موجودا بالفعل إلا في الذاكرة، فهو منولوج ذاتي يدور في ذاكرته .

ومن ذلك أيضا تذكر (حسني) بطل الرواية ما وقع بينه وبين(زينب) وقولها له إنها غالبا ما تذهب إلى دار الكتب (..... ومر أسبوع، وجاء يوم الجمعة، وتذكرت قولها إنها غالبا ما تذهب في العطلات إلى دار الكتب، ثم خرجت إلى السطح وجلست فيه مدة أتسمع على أن أسمعها تنادي أحدا أو أراها خارجة لحاجة. لكنني لم أظفر بشيء . فدخلت إلى غرفتي وسحبت الحذاء من تحت السرير ودسست إحدى رجلي في الجورب، ثم توقفت فجأة عن إكمال لبسي وجعلت أسأل نفسي في جد صارم:

– ماذا أريد أن أفعل ؟ وما الذي أعنيه من هذه الحركات ؟!

وترسم النجوى الذاتية أفقا مغايرا للسرد الاسترجاعي؛ حيث يتحدث حسني مع ذاته عندما تذكر زوجة أبيه (أم ربيع) الخائنة وكيف أثرت هذه الذكرى على علاقته(بزينب) (وثارت الذكريات وتحرك الماضي من سباته، وجعلت أذكر أم ربيع كلما سمعت صوت زينب يتصاعد من الشرفة أو من مسقط السلم .

لم أعد أشد الخيط كثيرا إلى عريشة اللبلاب، ولم أعد أقلق سكون الليل بدق أرض الغرفة، وحتى الناي ما كنت أعزف عليه إلا لماما . أصبحت أرى في النجوى والحديث والميعاد واللقاء مضيعة لوقت الطالب ومشهدا يسوده ويشوبه التكلف من ناحيتي وعدم الصراحة. ولم تعجبني هذه الريح الرخاء التي أصبحت في مهبها كأنني لا أستطيع أن أعيش .... كنت متقززا، أو كأنني فاتر، وإن كنت نصف كريم. كنت أريد غير الذي كان وإن دلت على غيره الظواهر. كان داخلي مشحونا بصورة الخيانة فما كان ينبغي أن تدللني. كان من الخير لها ولي أن تدعني في النار والإعصار. ليتها كانت معقدة ملتوية ولو معي أنا وحدي... لو أنها حملتني على سفود وعرضتني طويلا للجمر. لكان من المحتمل جدا أن يتغير الموقف... ليس كل رجل يقدر معنى التضحية وليس كل رجل يفهم معنى البذل ولو أنها لم تبلغ في بذلها الذروة !![2] .

من ذلك مناجاة بطل الرواية لنفسه عند رؤيته لصديقه (راشد)، وإنه يتمتع بصفات جميلة رائعة من الجمال والذكاء، ولم تخل الدنيا من أمثال راشد الذين قد يكونوا قد قابلوا مثل زينب ولم

(١) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ١٩٩٥– ص٥٦– ٥٧

(٢) السابق– ص١٤٠

تتعلق بهم، فهي إذن قد تعلقت به هو بناء على مواصفات حددها لها قلبها (ثم هدأت نفسي وسكنت بوادر الغيرة التي تحركت في قلبي بعد أن تركت صديقي يتكلم فلا أشاركه إلا بهزات رأسي، على حين كنت أنا أفحصه جيدا، ومن جديد بعينين تصورت أنهما عين زينب، فقلت في نفسي ونظراتي إليه وحواشي وشعوري وحدها معه، إنه جميل ...إنه ذكي ...إنه فنان، أما أنا فإني لا أعرف ما أنا!؟ ..فأحسست أن صدعا يوشك أن ينجم في جدار قلبي ولكنني حلت بينه وبين أن يكون بحيلة لطيفة من تلك التي نصطنعها في الحياة، عندما ينقطع عنا تملقها إيانا فترة من الزمن. قلت: وهل خلت الدنيا فيما مضى من أمثال راشد؟ . كلا بالطبع ... إذن فلقد اختارتني زينب بناء على "مواصفات "وضعها لها قلبها فبحثت حتى عثرت علىّ في عالم الحقيقة)([1]) .

ومن تلك النجوى أيضا مناجاة بطل الرواية لنفسه عندما ظهرت نتيجة البكالوريا وقد نجح ورسب صديقه راشد وحزن لذلك، وبدأ يفكر في مستقبل زميله يقول :(ثم أعلنت ونحن في القاهرة. وأشرق وجهي بنضرة الفرح لنجاحي، ثم غام بكدرة الحزن لرسوب صديقي !!لم أر دمعا يترقرق فيهما فكدت أبكي له . قلت لنفسي : إنه غني ...إنه مرن يستطيع أن يعمل أي عمل أي عمل. ثم عدت فقلت : ولكن ...إنه فشل !!..... كنت أفكر في الناس: نحن كقطع الشطرنج تنقلنا يد الأقدار على رقعة الوجود.أين سيكون صديقي، وفي أي بلد سيعمل ويقيم، ثم متى نلتقي وعلى أية صورة، ومن منا السعيد ومن منا الشقي ؟.)([2])

لقد ترك السرد الذاتي بآلياته الشعورية أثره على المضمون الروائي فالمنولوج الداخلي غالبا

(دليل على عدم الوئام والانسجام مع الواقع الخارجي وصرخة احتجاج مخنوقة في وجهه وإن المرء عادة يلجأ إلى مناجاة ذاته والانطواء في دواخله حين يفتقد الطمأنينة والأمان وينوء بإحباط ما)([3]).

وكذلك ويمثل أزمة حوار وغياب التواصل، كما إنه يعبر عن حاجة إنسان العصر الحديث عن أسلوب جديد يتوافق مع ما بداخله من الهموم التي أثقل بها العالم الخارجي فانكفأ على ذاته هروبا من الواقع الملئ بالمشكلات، ولعل الهروب من منطقة (الوعي إلى اللاوعي هو حقيقة الأمر انسحاب لا يلجأ إليه إلا النفس المهزومة، وما منشؤه إلا الشعور بأن القيم الاجتماعية الجديدة لا سبيل إلى قهرها ومن لم يرض بحاضره عاش في ماضيه ومن لم يرض بما يجري حوله انطوى على نفسه)([4]) .

ثالثا المبحث الثالث: المنظور الموضوعي:

لم يقتصر استخدام الكاتب على المنظور الأيديولوجي والنفسي فقط، بل استخدم أيضا المنظور الموضوعي الذي يحكمه راو يعرف كل شئ ويفرض حضوره في النص القصصي بشكل مباشر، ويتدخل في كل المستويات الخارجية والداخلية ؛ فيقدم لنا قطاعا عرضيا مشرحا من ذهن

(١) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ١٩٩٥– ص١١٣
(٢) السابق ص١١٨
(٣) مقاربة الواقع في القصة المغربية القصيرة – نجيب العوافي – المركز الثقافي العربي – بيروت ١٩٨٦– ٥٣٤
(٤) في الأدب الإنجليزي الحديث – لويس عوض – ط ١٩٥٠– مكتبة الأنجلو المصرية – ص ٢٣٠

الشخصيات وعوالمهم الداخلية، لذلك يؤسس الخطاب الروائي حسب منظوره، وإن كان في بعض الأحوال يحاول أن يشرك القارئ مع الراوي؛ وذلك ليبعد الراوي العالم بكل شئ جانبا فنجده يطرح الأسئلة في الرواية ولا يجيب عليها . ويسمي أوسبنسكي هذا الاستخدام للمنظور الموضوعي (بنية الإطار) (١)حيث أن المنظور الموضوعي يلعب دور الإطار الذي يحيط باللوحة،فيحيط بالنص كما يحيط الإطار باللوحة)

فإذا تناولنا هذا المنظور في رواية(شجرة اللبلاب) نجد أن الروائي قد استخدم هذا المنظور واتضح ذلك في أن الراوي بموقعه من الأحداث قادر على تشويق القارئ، فقد وضع بطل الرواية وهو طفل في مواجهة الأقدار التي تفننت في إيذائه وقلبت به زورق الحياة، ولكنها مكنته أن يركب الزورق مقلوبا وينجو به، على الرغم مما لاقاه من شدائد تنوء بها الجبال (..مسكين ذلك الصغير !!إن الأقدار تفننت في إيذائه حتى كادت تخلق منه لصا لكثرة ما حرمته، أو تخلق منه مجرما لقلة ما هفا عليه من حنان، أو تخلق منه غبيا لعدم من يبصره بأغلاطه. كادت تخلق منه أحد هؤلاء جميعا، لولا أن الأقدار قلبت به الزورق مكنته هي نفسها من أن يركبه وهو مقلوب....فنجا، وإن لاقى في سبيل النجاة هولا وشدة !!)(٢)

ويظهر المنظور الموضوعي وهو يقدم لنا وصفا(لمحفوظ) ابن عم زوجة أبيه فيرسم له صورة القروي الجاهل الذي رسم لنفسه صورة غريبة للسعادة (كان محفوظ في سن ابنة عمه أو يزيد عليها عامين، قرويا من أولائك الذين لم يهتد المثالون إلى شبيهه ليتخذوه أنموذجا لقروي شاب . لوحته شمس الريف فمنحته السمرة المصرية الشهية التي أراها أحلى من بياض تماثيل (روما) سمرة خشنة فقيرة، لكنه يجري في أديمها دم الشباب ودم السلامة،ضامر كالسيف، رشيق كعود الخيزران الذي لايفا رق كمينه والذي يلوح به في الهواء وهو سائر بحركة توائم صرير حذائه ذي الرقبة الطويلة ..كان يختال في جلبابه الفضفاض الطويل الواسع الكمين كأن وفرة الشباب قد أتسته مرافق حياته الناقصة، أو كأن رأسه ذلك الضيق المحدود تفلسف فرسم للسعادة صورة غريبة جدا. ولكنه مقتنع بها كالصورة التي كنا نرسمها للحصان في بدأ حياة المدرسة ونحن أطفال فنخطط له أربع قوائم على أبعاد متساوية مضبوطة ثم ننظر إليه ونحن معتقدون أنه حصان ما في ذلك شك.وكذلك كان محفوظ صورة كاملة للشباب الحقيقي وصورة واضحة للسعادة النسبية)(٣)

وأيضا يظهر هذا المنظور في حديث النفس الذي اعتمل في نفس بطل الرواية (حسني) وهو يتحدث مع (راشد) عن (زينب) بعد رؤية راشد لها وهو في زيارة حسني (هنيئا للذين يجدون الحب ويحسونه إزاء كل من يلقونهم.. هنيئا لهم ألف مرة حتى لو ظللتهم الأوهام...أنهم يرون الدنيا أكبر من حقيقتها دائما كأنهم ينظرون إليها على ضوء قلوبهم العامرة من خلال منظار كبير. أما أنا...فقد

(١) انظر بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ – سيزا أحمد قاسم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٤ – ١٩٩٥ – ص ٨

(٢) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ١٩٩٥– ص٦

(٣) السابق – ٢٣–٢٤

أحببته في الخيال وكرهته في الواقع فاعتبرت التدلل (برودا) واعتبرت التدله دعارة ... فلم أدر مـا الحب !!)([1]) .

فحديث النفس يكشف عن الصراع النفسي داخل نفس البطل، فالمنظر الذي رآه مـن زوجـة أبيه مع وابن عمها مازال عالقا في ذهنه ينغص عليه حياته، فلا تسلم أي امرأة مـن الخيانـة مـن وجهة نظره، فهو إن آمن بالحب في خياله ينكره ويرفضه في الواقع .

وقد حاول الروائي أن يجنب الراوي العالم بكل شئ في بعض الحالات، فنجد الراوي واقفا مع القارئ يسأل ويلقي حيرته ويستقبل فعل البطل دون أن يتكهن به، ويخاطب القارئ مرة باعتبارهمـا معا يبحثان في موقع واحد، وعلى الرغم من محاولات المؤلف أن يجنب الراوي المعرفة الكاملـة إلا إنه أعطاه الحرية ليكشف مع القارئ أوراقه ليتحرك داخل النص الخطابي ويتحرك مع البطل نفـسه الذي يصارع ليكشف ذاته، فمن خلال الأسئلة التي يطرحها الراوي يتضح ذلك .... (كنت أهـم فـي بعض الأحيان بأن أسألها: ما بك ؟ أو ماذا يكنه قلبك لي ؟ لكنني أدير السؤال فـي رأسـي قبـل أن أنطق به ثم أمسك لأنني أحس أنه تافه. ماذا بها، هل أريد دليلا على حبها إياي بعد الذي كـان ؟)([2]) ونجد مثل هذه الأسئلة التي يطرحها في كثير من مواضع الرواية، ويحاول مع القارئ الإجابة عنهـا، من ذلك تساؤلات الراوي التي تدل على الحيرة وعدم الاهتداء إلى سر موت (زينب) يقول: (... هـل انتحرت ؟ أم هل قد تناولت أقراص المنوم عن رغبة حقيقية في النوم؟!وعن رأي مـن بعثـت إلـى رسائلي؟هل أوصت زينب قبل موتها بذلك، أم أن أمها هي التي تصرفت هذا التصرف ؟ تلك أسئلة لم أستطع أن أستوضح أحدا جوابها. وقد بقي الزمان ممسكا عن توضيحها لي حتى هذه الساعة)([3]) .

ليس معنى استخدام المؤلف المنظور الموضوعي إنه لم يستخدم المنظور الذاتي في الروايـة – على العكس من ذلك – فقد استخدم المنظور الذاتي كثيرا، وذلك من خلال تنـاول بطـل الروايـة بالوصف لوالده أو لصديقه راشد أو لزوجة أبيه أو لزينب أو لأخته، يقول بطل الرواية عـن والـده (....لأن أبي كان في حالة تدعو إلى الرثاء : كان نفسا في قفص كما يقال فـي القـرى، أو كقـوس النجاد منحنيا نحيلا كما يقولون في القاهرة . وحز في قلبي أن أشعة الموت الـصفراء قـد أدركـت وجهه المستطيل وأن جبهته البارزة زادت بروزا، وحز في قلبي وعناه أكثر من أي شئ أنني رأيـت طباعه قد بدأت تتغير نحوي.)([4])

يقول أيضا عن والده والحالة السيئة التي صار إليها بسبب زواجـه الغيـر متكـافئ: (لقـد استهلكت عضلاته كأنما سطا عليها وحش فنهشها، وبدا للعين أطول من ذي قبل. صار بادي النحافة إلى حد أنه جلس على الكرسي ووضع رجلا على أخرى خلت أن رجله التي في الهواء عصا يـشير بها من تحت أذيال قفطانه وحتى الحزام الذي يشده على وسطه كان من الممكن أن يلفه مرتين.أمـا

(١) السابق ص ١٥٠
(٢) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ١٩٩٥ – ص١٥١
(٣) السابق – ١٦٤
(٤) السابق – ص٦٦

صدره فكان ناتئا يشرف من حوله كتفان عريضان يغوص بينهما عنقه الذي ظهر في أعلى الصدر كأنه اسطوانة تتدلى في صندوق)([1])

وكذلك وصفه لأم زينب عندما رآها بعد موت ابنتها زينب يقول :(قابلتني في البهو طويلة العود جرداؤه كأنها نواة لفظها الزمان. وكانت متشحة بالسواد، ذات وجه أبيض مستطيل ساهم، طويل أكثر من المألوف كأنه ضغط بين شيئين.كانت كأنها تتوقع لقائي، بل كأنها تتأهب له.وتمتمت بكلمات تحمل معنى العزاء لم أبينها ولم أتسمعها، ثم سارت أمامي وتبعتها إلى حجرة الاستقبال.)([2])

من خلال الأمثلة السابقة للمنظور الذاتي نلاحظ أن الكاميرا مركبة على عين شخصية من شخصيات الرواية، ونحن ننظر من خلال منظورها لنرى ما يدخل في مجال هذه العين، ويخفي عنا ما خرج من دائرة رؤية هذه العين.

المبحث الرابع المنظور على مستوى المكان والزمان :(الزمكاني)

(أ) المنظور على المستوى المكاني:

يقصد بالمنظور الزمكاني معاينة موقع الراوي من أحداث الرواية وشخصياتها (من خلال الإحداثيات المكانية والزمانية التي يدار من خلالها السرد)([3]) فالراوي قد يتطابق موقعه مع موقع شخصية من شخصيات الرواية وقد لا يتطابق، حيث لا يقابل موقع الراوي موقع أي شخصية من الشخصيات المشاركة في الحدث .

(١) في حالة تطابق الراوي لشخصية روائية :

يكون في هذه الحالة الراوي ملازما للشخصية، هذا التلازم إما أن يكون بصورة مؤقتة أو بصورة دائمة طوال السرد، ويحتل الراوي المكان الذي تحتله الشخصية، فإذا دخلت الشخصية أي مكان وجدنا الراوي يصف لنا هذا المكان الذي تحتله الشخصية، فإذا دخلت مثلا منزلا وجدنا الراوي يصف لنا هذا المنزل من منظوره، فإذا خرجت إلى الشارع وصف الراوي هذا الشارع، وفي هذه الحالة قد يمتزج الراوي مع الشخصية فيتبنى أفكارها على المستوى الأيديولوجي والتعبيري والنفسي، وهنا يتكشف المنظور الذي يتبناه الراوي على جميع المستويات المقابلة للشخصية – أي – تظهر النظرة الذاتية للراوي.

والراوي قد يصاحب الشخصية ولكنه لا يمتزج معها، فيكون الوصف في هذه الحالة غير محدد بالنظرة الذاتية للشخصية، فتتعدى هذه النظرة للشخصيات الأخرى، وهنا يكون تطابق موقع الراوي مع الشخصية على المستوى المكاني فقط، أما على المستويات التعبيرية والأيديولوجية

(١) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ١٩٩٥ – ص٢٤-٢٥

(٢) السابق – ص ١٥٩

(٣) بوريس أوسبنسكي وجهة النظر في الرواية على مستوى المكان والزمان – مجلة فصول –المجلد ١٥–العدد الرابع شتاء١٩٩٧– ص٢٥٦

والنفسية فهما يختلفان وبقدر ما يلزم المؤلف الشخـصية ولا يتجـسد فيهـا، يمكنـه أن يرسـمها ويصورها ولا يستطيع أن يفعل ذلك إذا كانا يشتركان في نظام إدراكي واحد ([1])

(٢) في حالة عدم تطابق الموقع المكاني للراوي مع الشخصية :

في أحيان أخرى موقع الراوي لا يقابل موقع أي شخصية من الشخصيات المشاركة في الحدث ولهذا النوع من السرد أشكال يحصرها بوريس أوسبنسكي في :

- المسح التتابعي
- وهو أن يتحول منظور الراوي من شخصية إلى شخصية أخرى ومن تفصيل إلى تفصيل على نحو متتابع، وعلى القارئ أن يجمع أوصال الوصف المنفصلة في صورة متماسكة، وحركـة وجهة نظر المؤلف هنا تكون مشابهة لحركات آلة التصوير أو الكاميرا في الفيلم التي تقـدم مسحا تتابعيا لمشهد معين)([2]) وفي بعض الأحيان لا يتحدد موقع الـراوي المكـاني تحديـدا واضحا، بل يكون الراوي قادرا في هذه الحالة على تصوير عدد من الشخصيات توجـد فـي أماكن متعددة .
- نظرة عين الطائر : ويستخدم هذا المنظور عندما نريد وصف شامل يحـيط بكـل تفاصـيل المشهد الموصوف فيكون المنظور الواحد للراوي عاما وشاملا للمشهد (لأن مثل هذا الموقع المكاني يفترض في العادة وجود آفاق واسعة جدا فيحق لنـا تـسميته وجهـة نظـر عـين الطائر)([3]) .

ويكون موقع الراوي في هذه الحالة مشرفا على الحدث، وفي الغالب تـستخدم نظـرة عـين الطائر عند بداية أو نهاية مشهد معين أو بداية السرد بكامله .

- المشهد الصامت:
- في هذا المشهد يكون الراوي بعيدا عن الشخصية، ويتم التركيز في هذه الحالة على سـلوك الشخصيات من حركات وإيحاءات لا كلمات([4])

فإذا تناولنا المنظور المكاني عند الكاتب، نجد الراوي هو أحد شخـصيات الروايـة، فـالمنظور المكاني يقدم من خلال الراوي. فالراوي في الرواية نجده مرافقا (لزينب) بطلة الرواية فـي كـل مكان توجد فيه أو تذهب إليه، فعندما تذهب إلى دار الكتب يكون رفيقا لها فيـصف دار الكتـب فيقول:

(لقد كنا بدار الكتب في ضحا ذلك اليوم أشبه شيء بشخصين جمعت بينهما مصادفة أو بحث من البحوث العلمية ؛ كنت أنا مكبا في قلق وهي مكبة في شغف ولهفة علـى لوحـة الأرقـام وراء الزجاج لتتأكد من أن كتابها المطلوب لم يسبقها باستعارته قارئ .كنت مخنوقا وكانت تتنفس بسهولة

(١) انظر السابق – ص ٢٥٧
(٢) انظر السابق– ص٢٥٨
(٣) انظر بوريس أوسبنسكي وجهة النظر في الرواية على مستوى المكان والزمان – مجلة فصول –المجلد ١٥–العدد الرابع شتاء١٩٩٧– ص٢٦٠
(٤) انظرا لسابق– ص٢٦١

.كنت استعجل الوقت الذي أستمع فيه إلى خفق أقدامنا متجاورة على رخام المماشي ونحن خارجان نريد وجه الخلاء.)([١])

ويصف الطريق الذي سارا فيه وهما خارجان من دار الكتب فيقول :(كنا في طريق فرشتها أشعة الشمس وغرست على إفريزها فسائل النخيل عن يمين وشمال، في إطار مستطيل تملأ مساحته الحشائش، وغمرتنا شمس الربيع حرارة حلوة ....لم يكن يفصل بيننا وبين النيل إلا متنزه ضيق العرض بحيث كانت صفحة مائه تلمع لأعيننا كالمرأة من تلافيف ذلك السور النباتي .)([٢])

كذلك يصف غرفة زينب عندما زار والدتها فيقول (وسارعت إلى باب الشرفة ففتحته بمجرد أن وطئت أقدامنا، وارتمى ضوء المصباح على بلاط الشرفة، وهبت نسمة فاترة الأنفاس فخشخشت بأوراق اللبلاب، وخيل إليّ أن زينب لاتزال في الشقة، وأنها تصفف شعرها وتبدل ثوبها في غرفة أخرى قبل أن تدخل علينا . ودارت برأسي الخواطر كأنني أشرب الخمر للمرة الأولى، وجعلت عيني تستقرئ أثاث غرفتها الحزينة، فرأيت غير الكنبة الصغيرة التي جلسنا عليها إلى يسار الباب، سريرا إلى اليمين، في نفس المكان الذي جعلت فيه سريري من الحجرة العليا، وكان مرتب الفراش كأنه بانتظار صاحبته !! ورأيت إلى اليسار على مقربة من الكنبة مكتبها الصغير الجميل المنظم، لاتزال الكتب منضودة عليه بنظام هو من فعل يديها ولا شك .)([٣])

فالمقدم من هذا الوصف نتعرف عليه من خلال المنظور المكاني الذاتي لبطل الرواية وراويها والمنظور هنا محدد بالنظرة الذاتية للراوي، وهنا نجد امتزاجا بين الراوي والشخصية ؛ ولذلك نجد تبني الراوي للمنظور الأيديولوجي والتعبيري والنفسي، وبالتالي تكشف عن وجهة النظر التي يتبناها المؤلف عن نفسها على جميع المستويات المقابلة لها لدى الشخصية .)([٤])

(ب) المنظور على مستوى الزمان :

إن معاينة الموقع الزماني للراوي من الرواية وشخصياتها هو المقصود بالمنظور على المستوى الزماني، وهذا الموقع يتحدد بناء على تقسيمه إلى داخلي وخارجي، فمن خلال موقع إحدى الشخصيات يستطيع الكاتب أن يحسب الزمن وينظم تتابع الأحداث والزمانية، وفي هذه الحالة يتطابق زمن المؤلف مع التوقيت الذاتي للأحداث بالنسبة إلى شخصية معينة، أو يستخدم المؤلف زمنه الخاص واختلاف المواقع الزمنية للشخصيات والزمن الخاص بالمؤلف من شأنه أن ينتج عنه بعض الصعوبات . وتستخدم وسائل عدة للكشف عن المواقع والزمانية :

- يستطيع الراوي أن يغير موقعه الزماني على التوالي، حيث يصف الأحداث من وجهة نظر واحدة، ثم ينتقل إلى أخرى، وقد تنتمي وجهتا النظر إلى شخصين مختلفين، أو أن وجهتي النظر ينتميان إلى الراوي وحده.

(١) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ص ص١٠٧-١٠٨
(٢) السابق- ص ١٠٨
(٣) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ص١٥٩-١٦٠
(٤) بوريس أوسبنسكي – وجهة النظر في الرواية على مستوى المكان والزمان – ت –سعيد القاتمي – فصول م١٢ع٤ شتاء١٩٩٧- ص٢٥٦

- قد يقدم الحدث في سياق السرد من خلال وجهات نظـر شخـصيات مختلفـة، تحتـل هـذه الشخصيات مواقع زمنية مختلفة ([1])
- قد يسير السرد في نظام زماني تتابعي، وتستخدم وجهـات نظـر شخـصيات متعـددة مـن شخصيات الرواية، في هذه الحالة ([2])
- قد يسير السرد في نظام زماني تتابعي، وتستخدم وجهـات نظـر شخـصيات متعـددة مـن شخصيات الرواية، وتكون مهمة الراوي في هذه الحالة (الربط بين أطراف الأحداث ببعضها) ([3])
- أحيانا أخرى يوصف الحدث نفسه في الوقت نفسه من خلال مواقع زمنية متعـددة والـسرد الناتج عن ذلك (ليس ترادفا لوجهات النظر، بل هو تركيب تمتزج فيه وجهات نظر مختلفـة، إلى حد أن الوصف يبدوا نوعا من العرض المزدوج)([4])

وتظهر عملية الجمع بين وجهات النظر والزمانية من خلال تعليقات المؤلف التي قد ترافـق أو تسبق السرد، أومن خلال حدث معين وبذلك يؤدي (وظيفة خلفية يتم من خلالهـا إدراك الروايـة التتابعية للأحداث.) ([5])

معنى ذلك أنه يمكن أن يدار السرد من المنظور الزماني من خلال شخصية أو عدة شخصيات مشاركة في الحدث، وفي نفس الوقت من خلال وجهة نظر المؤلف الزمانية، وبالتأكيد إن وجهة نظر المؤلف تختلف عن وجهة نظر الشخصيات اختلافا بينا ؛ ذلـك لأن المؤلـف يعـرف مـالا تعرفـه الشخصيات، وكيف ستنتهي أحداث الرواية أو القصة، ويستمد المنظور المزدوج وجوده فـي هـذه الحالة من موقع الراوي المزدوج . فإذا تزامنت وجهة نظر المؤلف الزمانية بوجهة نظر الشخـصية (كأنه تبني زمنها الحاضر يمكننا القول إذن إن وجهة نظر المؤلف ووجهة نظر الشخـصية داخليـان في السرد على المستوى الزماني،ينظر المؤلف من داخل الحياة التـي يـصفها، ويقبـل بمحـدداتها المتأصلة من جهل الشخصية أو معرفتها المجددة .)([6])

وقد يكون للمؤلف زمنه الخاص – بمعنى –بمعنى إنه يقف خارج شخصياته، فإن نظرته فـي هذه الحالة تكون نظرته في هذه الحالة تكون نظرة استرجاعية ؛ حيث يعود بنظره

(من مستقبله إلى حاضر الشخصيات فهو يعرف مالا تستطيع أن تعرفه فنظرته إذن خارجية عـن السرد الجاري .)([7])

أما إذا تبنى المؤلف المنظور الزماني لإحدى شخصيات الرواية فيدير الـسرد مـن وجهـة نظرها، ولكنه قد يكشف فجأة عن شئ من أحداث الرواية تجهله هذه الشخصية، التـي هـي حاملـة

(١) انظر السابق – ص٢٦٠
(٢) السابق – ص٢٦١
(٣) السابق – ص١٦٢
(٤) السابق – ص ٢٦٢
(٥) بوريس أوسبنسكي – وجهة النظر في الرواية على مستوى المكان والزمان – ت –سعيد القاتمي – فصول م١٢ع٤ شتاء١٩٩٧– ص ٢٦٢
(٦) السابق – ص٢٦٢
(٧) السابق – ص٢٦٢

لوجهة نظره إلا بعد مدة طويلة من الزمن، من ذلك مثلا أن تبدأ أحداث القصة أو الرواية بموت البطل ثم تسرد الرواية قصة حياته

وينقسم موقفنا كقراء، فإننا نتلقى الأحداث كما تقع من خلال مدركات الشخصية الحاملة لوجهة نظرها، ونعيش مع هذه الشخصية حاضرها، وفي نفس الوقت ندرك ما يحدث إدراكا مختلفا عن إدراك الشخصية التي يتبنى المؤلف وجهة نظرها، ومن هنا يتحقق الجمع بين مستويين زمانيين مختلفين (عن طريق الجمع بين وجهتي مختلفين الأولى وجهة نظر الشخص الموصوف، والثانية وجهة نظر الشخص الواصف الراوي – المؤلف)([1])

وقد يحدث جمع بين مستويين زمانيين، إذا كانت الذات الواصفة والموضوع الموصوف شخصا واحدا كما في سرد الشخص الأول أو ..... وتتكرر الظاهرة في كتابة السيرة الذاتية حين تتطابق وجهة النظر المتخذة في الزمن الموصوف في السرد مع وجهة النظر المتبناة عند زمن الوصف)([2])

فإذا تناولنا رواية (شجرة اللبلاب) لنعرف علام اعتمد المؤلف في منظوره على مستوى الزمان، نجده استخدم نظاما تتابعيا ثابتا، فتناول شخصية بطل الرواية منذ الطفولة حتى تخرج في الجامعة، وأصبح مهندسا في وزارة الري، كما إنه استخدم المنظور الزماني المزدوج حيث تتزامن وجهة نظر المؤلف الزمانية ووجهة نظر الشخصية كأنه في زمنها الحاضر، وهنا يمكننا أن نقول: إن وجهة نظر المؤلف ووجهة نظر الشخصية داخلية، فينظر المؤلف إلى أحداث الرواية من الداخل، وهو على علم بالمعرفة المحددة للشخصية أو جهلها التام، كما يجمع بين مستويين زمانيين، حيث نجد في سرد الرواية الراوي وهو في نفس الوقت الشخصية الرئيسية، فهنا الذات الواصفة والموضوع الموصوف شخص واحد .فالراوي يقدم أحداثه بأسلوب زماني المفترض فيه أن يكون متقدما نسبيا إلى الأمام،لذلك يكون الإدراك ذاتيا (يكشف عن متوالية الأحداث أكثر مما يكشف عن الحركة الموضوعية للزمن التي يقترب بها حدث معين)([3]) فالراوي في الرواية ينظر إلى ماضيه وهو مازال طفلا صغيرا من خلال نقطة في الحاضر، وهذه النقطة كبيرة الأهمية في السرد؛لأنها تحدد ما يمكن لنا تسميته بالمنظور الزماني (وتجعل من عمله ليس مجرد قصة عن حياته الخاصة، بل قصة تضغي على حياته لحظة كتابته)([4])

(كانت طفولتي من ذلك النوع الذي يتعذر على الإنسان أن ينساه ...لم تكن طفولة عادية غافلة بلهاء، تمر أيامها على رأس الصغير فلا تترك فيه أثرا كما يمر بجوارك في الشارع بعض أناس، فلا تحس أنهم مروا – بل هي على النقيض من ذلك واضحة الليالي والأحداث، كأن الزمن كان ينبهني أثناء مسيره إلى بعض ساعاته، بحركة غير عادية يأتيها.([5])

(١) السابق – ص٢٦٢– ٢٦٣
(٢) السابق– ص٢٦٣
(٣) بوريس أوسبنسكي – وجهة النظر في الرواية على مستوى المكان والزمان – ت – سعيد القاتمي – فصول م١٢ع٤ شتاء١٩٩٧– ص٢٦٣
(٤) السابق – ص٢٦٣
(٥) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ص ٥

الزمان اللغوي والموقع الزماني للمؤلف :

أحيانا يعبر الشكل النحوي عن الموقع الزماني الذي يدار منه السرد وفي هذه الحالة يكـون هناك علاقة بين زمن الفعل اللغوي والتعبير اللغوي والتعبير الشعري)([1])وقـد وجـدت فـي روايـة (شجرة اللبلاب) أمثلة لهذه الظاهرة، فالمؤلف يستخدم الأشكال الفعلية إذ يتعاقب زمن الـسرد بـين الماضي والحاضر الوصفي وهذه ظاهرة في سرد الرواية، فإذا استخدم الكاتب الزمن الماضـي فـي جملة وجدنا الزمن الحاضر في الجملة التالية أو العكس ففي حديث بطل الرواية عن (زينـب)، نجـد السرد يتعاقب بين الماضي والحاضر في الجمل يقول الكاتب : (ثم أخذت تتحسس موضع "ايشاربها " على رأسها وتلمس بأناملها خصلات شعرها من الأمام والخلف لمسا خفيفا كأنها تريد أن تتأكد مـن أن كل شئ لايزال في مكانه لم أرد عليها أنا إلا بإيماءة وابتسامة كأنها تحدثني بغير لسان قومي)([2])

إن استخدام الفعل المضارع في النص السابق يمثل المرآة العاكسة لحركات(زينب) وارتباطها بحياتها وانفعالاتها النفسية في لحظتها الحاضرة، فيحدث انسجام فكري بين القارئ والنص، فالأديب على وعي تام باللحظة الحاضرة (لزينب) وما يدور بداخلها من مشاعر مختلفة، و يعـود بنـا إلـى الوراء لاستدعاء الطريقة التي تعرّف فيها على (زينب)التي انتهت بتأكيد الحب، لما لهذا الموقف من صلة بالحدث الحاضر الذي يذكره، فالكاتب هنا كأنه يبث أحداثا في شـريط سـينمائي يكـرره أمـام ناظريه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الوعي بين الماضي والحاضر ينتج عنه (التلاحم بـين الماضي والحاضر بين مشاهد ومفاهيم إنسانية، فالماضي ليس بمثابة ذكرى، بل هـو واقـع مـلازم للراوي سيطر على حياته ومشاعره الراهنة)([3]) ولا يقتصر التعاقب الزمني بين الماضي والحاضر أو العكس على مستوى الجملة في الفقرة الواحدة بل يمتد التعاقب الزمـاني ليـشمل فقـرتين، فنجـده يستخدم الفعل الماضي في فقرة كاملة، ويستخدم الزمن الحاضر في الفقرة التالية .يقول بطل الرواية عن والده :(كان في الخمسين من عمره في هذا التاريخ، ولكنه كان كذلك زوبعة طليقة عـامرة كـل مظهر وكل صغيرة وكبيرة تقع عليه عيناه في الدار مبعث لرفع الصوت ومدعاة للـشجار حتـى أن أختي اضطربت في تنظيم البيت)([4])

وفي الفقرة التالية يستخدم المضارع الوصفي،فيقول (لم يكن في البيت امـرأة تلـم شـعث أعصابه وتهذب ما ندّ من أفعاله لأنه كما قلت لك سريع الاستجابة إلى ما يلقن،حريص على ألا يفسد ما بينه وبينهن فتفسد حياته كلها ..) ([5]) وقد تشتمل الفقرة الواحدة على عدة جمل يتعاقـب فيهـا الزمن الماضي، ثم تأتي عدة جمل يتوالى فيها الزمن الحاضر يقول الأديب: (مر عام وبـدأت أذهـب

---

(١) انظر بوريس أوسبنسكي – وجهة النظر في الرواية على مستوى المكان والزمان – ت – سعيد القاتمي – فصول م١٢ع٤ شتاء١٩٩٧– ص ٢٦٣

(٢) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ص ٩٥

(٣) ساسون سوميخ– ثلاثة فصول في أدب نجيب محفوظ – مكتبة السروجي – عكا ١٩٨٢– ٦٩

(٤) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ص ١٥

(٥) السابق– ص ١٥

إلى مدرسة القرية للمرة الأولى، فما لبثت أن أحببتها وتعلقت بها حتى كنت أعجب لصبيان يحملهم آباؤهم للذهاب إليها حملا وهم يبكون .)([1])

ويستخدم المؤلف الزمن الحاضر؛ ليثبت وجهة النظر التي يجري بها القص من ناحية، وليشير إلى تطابق موقع المؤلف الزماني مع الموقع الزماني لشخصياته من ناحية أخرى، فيكون حاضرا معهم في زمنهم، ثم يستخدم الأفعال في الزمن الماضي، وتقدم الأفعال في هذا الزمن (نقلة تزامنية للسرد؛ فهي تصف الظروف والأحوال الضرورية لإدراك السرد في موقع تزامني.)([2])

إن استخدام المؤلف للترادف والتعاقب الزمني للأفعال في السرد وبخاصة استخدام الفعل الماضي مع الفعل الذي يدل على الديمومة والاستمرار له عدة وظائف، منها، إنها تشير إلى الحاضر في الماضي؛ حيث تمكن هذه الصيغة المؤلف من القيام بوصفه من داخل الفعل السردي ومن وضع القارئ في قلب المشهد الذي يصفه .

كما إننا نرى في هذه الحالة تركيبا بين وجهتي النظر التزامنية والاسترجاعية، ويشير هذا الشكل السردي إلى أن كل ما في الفعل يجري في الماضي حين كان الراوي يشغل موقعه، وهو موقع يتزامن مع أحداث الماضي، هكذا يمكن اعتبار هذا جمعا بين راويين، يتحدث كل راو منهما من وجهة نظر مختلفة، والراوي" العام" منهما يؤدي وظيفته على طول السرد، وكل الفعل يصفه عنده في الماضي أما الراوي الآخر وهو تنحصر وظيفته في مشاهد معينة، فيحدث الفعل عنده في الحاضر.)([3])

المبحث الخامس:المنظور على المستوى التعبيري:

إذا كان المنظور الأيديولوجي هو منظومة القيم التي تحكم الشخصية من خلالها على العالم المحيط، والمنظور النفسي هو الزاوية التي تقدم من خلالها العالم التخييلي فإن المنظور التعبيري هو الأسلوب الذي تعبر الشخصية من خلاله عن نفسها، ويبحث" أوسبنسكي" في المنظور على المستوى التعبيري (في العلاقات التي يقيمها الراوي مع خطاب الشخصيات ويحددها في وجهتي نظر، في الأولى يأخذ الراوي وضع الملاحظ الموضوعي فينقل خطاب شخصياته بكل جزئياتها حتى الصوتية منها.في هذا الوضع نحن أمام وجهة نظر خارجية، وفي الثانية يأخذ وضع المقرر الذي يتبنى وجهة نظر داخلية ؛لأن الراوي هنا لا يركز على جزئيات الخطاب، ولكنه يتدخل فيه عن طريق التفسير والتوضيح.)([4])

وإذا كانت عملية القص تقوم على راو يأخذ على كاهله نقل الأحداث، ووصف الأماكن، وتقديم الشخصيات، ونقل كلامها والتعبير عن أحاسيسها ومشاعرها، فتوجد علاقة بين هذا الراوي

(١) السابق – ص ١٦

(٢) بوريس أوسبنسكي – وجهة النظر في الرواية على مستوى المكان والزمان – ت – سعيد القاتمي – فصول م١٢ع٤ شتاء١٩٩٧– ص٧٧

(٣) بوريس أوسبنسكي – وجهة النظر في الرواية على مستوى المكان والزمان – ت – سعيد القاتمي – فصول م١٢ع٤ شتاء١٩٩٧ – ص ٢٦٥

(٤) تحليل الخطاب الروائي– سعيد يقطين – المركز الثقافي العربي – ط٢ ١٩٩٣ –٢٩٤– ٢٩٥

والشخصيات الأخرى في الرواية – بمعنى آخر– بين كلام الراوي وكلام الشخـصيات، فهـل يقـدم السارد كلام الشخصيات كما هو؟ دون أن يتدخل فيه ؟ أم يصبغه بصبغته الذاتية ويتدخل فيه؟ ومـن هنا تتعدد مستويات المنظور على المستوى التعبيري، فقد يقترب منظور الراوي من الشخصية، وقـد يبتعد عنه، والحوار أكثر ارتباطا بشخصية قائله، فيعبر عنه بطريقة مباشرة دون تدخل من أحد، فإذا ما أدخل قول الشخصية في سياق القص وتولى الراوي نقله فهنا يحدث امتزاجا بين القولين ويصبح الصوت مزدوجا، فأي الصوتين يعلو على الآخر ؟ وأيهما يخفت ويتلاشى؟ وما الطريقة التي ينـسج الراوي بها كلام الشخصية داخل مستوى كلامه ؟ ([1]) وما الوسائل المستخدمة في ذلك ؟

لقد نادى النقاد والأدباء بضرورة اختفاء صوت الراوي، فبدأ خفوت صـوته فـي الروايـة الحديثة، وبدأ يعلو صوت الشخصية، نتيجة اتجاه الرواية نحو المنظور النفسي الذاتي، مما أدى إلـى ظهور بعض أساليب التعبير الجديدة، وهناك طريقتان تبعا لرؤية النحو التقليدي في نقل كلام الغيـر يسمى الأول بالأسلوب المباشر

والثاني بالأسلوب غير المباشر([2]) يستخدم الراوي الأسلوب الأول "الأسلوب المباشر " فـي حالة نقل كلام الغير كما هو، ويسمى في هذه الحالة كلام الشخصية، أما إذا أدخل كـلام الغيـر فـي سياق كلامه استخدم الأسلوب الثاني وسمي بكلام الراوي.

ويرى اللغوي (جير) أن استخدام الأسلوب غير المباشر في القص يفقد الجملة نبرتها على المستوى التعبيري والتأثيري ؛ ذلك أن الرسالة اللغوية تحمل بين دفتيها أهدافا مختلفة منها ما يتوقـف علـى المتكلم أو المتلقي أو الرسالة نفسها، فنقل الرسالة من تركيب إلى آخر يفقدها الكثير مـن أبعادهـا النفسية التي تربطها بقائلها الأصلي، حيث يضفي عليها ظلالا من أسلوب ناقلها الراوي .)([3])

واكتشف اللغوي السويسري "شارل بالي "أسلوبا وسطا بين الأسلوبين السابقين أطلق عليـه (الأسلوب غير المباشر الحر) يجمع بين خصائص الأسلوبين السابقين من جانب، ومن جانـب آخـر يعطي الأديب حرية أكبر في نسج كلام الشخصية داخل كلام الراوي، هـذا الأسـلوب أطلـق عليـه المنولوج الداخلي، حيث يعبر هذا الأسلوب عن مشاعر الشخصية وتأملاتها بـلا واسـطة وبطريقـة مباشرة، وظهر هذا الأسلوب لأول مرة على يد "فلوبي "في شكل منهجي، ويري "ستيفن أولمن هـذه الظاهرة (ابتكارا أسلوبيا ذا أهمية كبيرة وخطورة قصوى)([4])

ولنتعرف على المنظور التعبيري في رواية(شجرة اللبلاب) الذي اعتمد عليه الروائي نجده قد استخدم الأسلوب المباشر ويستغرق هذا الأسلوب خمس صفحات يتناول فيه الأديب طفولته البائـسة التي يتعذر على الإنسان أن ينساها، ويتحدث عن والده وأطواره الغريبة وإنه طـراز مـن الرجـال غريب الطبيعة شاذ الأطوار، ويتناول عمله ناظرا لإحدى المدارس وعلاقاته بالموظفين والمدرسـين

(١)انظر – بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ – سيزا أحمد قاسم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٤– ص ١٥٨

(٢) انظر –السابق– ص ١٥٩

(٣) انظر– السابق– ص ١٩٥

(٤) انظر بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ – سيزا أحمد قاسم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٤– ص ١٦٠

وما كان بينهم من مشاكل، ويتناول علاقته مع زملائه وهو يعمل ناظرا لإحدى المدارس والمشاكل التي بينه وبين زملائه، ويتحدث عن ادعاء والده بأنه عبقري وأن جمجمته قد أقفلت على جمرة متوهجة، كما يتحدث عن قسوة والده، ويتحدث أيضا عن مرض والدته وموتها فيقول :(كانت طفولتي من ذلك النوع الذي يتعذر على الإنسان أن ينساه ...لم تكن طفولة عادية غافلة بالهاء. تمر أيامها على رأس الصغير فلا تترك فيه أثراكما يمر بجوارك في الشارع بعض أناس فلا تحس أنهم مروا – بل هي على النقيض من ذلك واضحة الليالي والأحداث، كأن الزمن كان ينبهني أثناء مسيره إلى بعض ساعاته، بحركة عادية يأتيانها، ..... كان أبي طرازا من الرجال غريب الطبيعة شاذ الأطوار، اشتهر بين أقربائنا وأصدقائنا ومعارفنا بشدة عناده وتعصبه لرأيه ولو كان على خطأ.....كان ناظرا لأحد المكاتب الأولية التي تخضع في إدارتها لمجلس المديرية خضوعا مباشرا.ولقد سلطه الله في وظيفته تلك على سبعة من المدرسين أساء رعايتهم، فانقلبت وبالا عليه ..... كان أبي قاسيا علىّ، وأنا لا أستطيع تعليل قسوته إلا بقسوة الناس عليه..... ورأيت أمّا تشتكي من سقم دائم وضعف ملازم، وكانت تقول كلما اشتدت بها العلة وأحست قرب أجلها :آه يا بنتي يا(هنية) كم وددت أن أعيش من أجلك أنت ومن أجل هذا الصغير)([1]) ثم يختم المقطع بقوله (هكذا قست علىّ الحياة)([2])

كما إنه استخدم المنولوج المباشر في تقديم حياة الشخصية النفسية، فوجدناه يستخدم عبارات (ساءل نفسه – قال في نفسه – جالت في خواطره) كجمل افتتاحية يقدم بها لمقطع التأمل، وتوضح هذه العبارات الانتقال من المنظور الموضوعي الخارجي إلى المنظور الموضوعي الذاتي، وهذا يتضح من حديث بطل الرواية (حسني) عن صديقه راشد (...فقلت في نفسي ونظراتي إليه وحواشي وشعوري وحدها معه، إنه جميل... إنه ذكي ... إنه فنان، أما أنا فإني لا أعرف ما أنا !؟..فأحسست أن صدعا يوشك أن ينجم في جدار قلبي لكنني حلت بينه وبين أن يكون بحيلة لطيفة من تلك التي نصطنعها في الحياة، عندما ينقطع عنا تملقها إيانا فترة من الزمن. قلت: وهل خلت الدنيا فيما مضى من أمثال راشد ؟ كلا بالطبع ... إذن فلقد اختارتني زينب بناء على "مواصفات "وضعها لها قلبها فبحثت حتى عثرت على في عالم الحقيقة)([3])

وكذلك المونولوج الذي دار في ذهن(حسني) بطل الرواية بعد ظهور نتيجة البكالوريا ونجاحه ورسوب صديقه راشد، وقد حزن بطل الرواية على رسوب صديقه، وفكر في مستقبله، يقول:(قلت لنفسي إنه غني ...إنه مرن يستطيع أن يعمل أي عمل . ثم عدت فقلت : ولكن ... إنه فشل!)([4])

(١) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ص ٥ ,٦ ,٧ ,٩
(٢) السابق – ص ١١
(٣) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ص ١١٣
(٤) السابق – ص ١١٩

وعندما فكر في مصائر الناس وإنهم أمام القدر كقطع الشطرنج يقول) كنت أفكر في النـــاس: نحـــن كقطع الشطرنج تنقلنا يد الأقدار على رقعة الوجود. أين سيكون صديقي، وفي أي بلد سيعمل ويقـــيم، ثم متى نلتقي وعلى أية صورة، ومن منا السعيد ومن منا الشقي ؟ ([1])

كل هذه الأسئلة تدل على الحيرة والقلق، ومحاولة منه لإشراك القارئ معه .

وعندما عزم بطل الرواية على السفر إلى قريته بعد نجاحه، يفكر في وداع زينب فيقول :

(قلت في نفسي إذن ينبغي أن أودع الوجه الجميل قبل أن تقـــع عينـــاي علـــى وجـــوه لا أحـــب أن أراها.)([2])

كما استخدم الأسلوب " غير المباشر الحر" حيث يسقط مثل العبارات (قال لنفـــسه – ســـاءل نفسه) ويأتي المونولوج منسوجا وملتحما في سياق القص دون مقدمات أو العبارات الختامية التـــي يختم بها مقطع التأمل، من ذلك عند تذكر بطل الرواية زوجة أبيه الخائنة بعد أن نسيها، كان نتيجـــة هذا التذكر توتر علاقته بزينب، فقد كان هذا التذكر كفيلا أن يكدر العلاقة بينه وبـــين زينـــب (كـــان داخلي مشحونا بصورة الخيانة فما كان ينبغي أن تدللني . كان من الخير لها ولى أن تدعني في النار والإعصار. ليتها كانت معقدة ملتوية ولو معي أنا وحدي... لو أنها حملتني على ســـفود وعرضـــتني طويلا للجمر لكان من المحتمل جدا أن يتغير الموقف.... ليس كل رجل يقدر على التضحية وليس كل رجل يفهم معنى البذل ولو أنها لم تبلغ في بذلها الذروة)([3]) وقد تحكمت فيه الوساوس التي ربتها له زوجة أبيه أم ربيع بخيانتها لوالده، وعم غانم بخيانته لزوجته، فنقلب على حبه لزينب وانتقم منهما في صورة زينب (أصبحت أحبها في وضع واحد وفي موقف واحد ...أصبحت أحبها امرأة منكـــسرة ذليلة تنظر من حضيض إلى رجولتي في العلياء . وهنا كنت أجود عليها بقبلة وفي القلب شـــئ مـــن الحنان !!

لا تؤاخذني . فقد انطلقت الشياطين من داخلي بعد أن انفرجت عنها أغطية القماقم شيئا ما، شياطين ربتها أم ربيع وتعهدتها بالغذاء والسقيا كما يفعل رعاة الخنازير. وليس الذنب ذنبي فهكـــذا نـــشأت، ولعل زينب لا ذنب لها كذلك ولكن حظها هو الذي يسر لها أن تعرض في طريق رجل مثلي.)([4])

ومن مميزات الأسلوب "غير المباشر الحر" إنه يقرب العبارة من الشخصية ويجعلها ملتصقة بها.

وقد يظهر الأسلوب غير المباشر الحر في مقطع، وقد يظهر في جملة أو جملتين يصطبغ بها المقطع.

فعندما تسرعت (زينب) واعترفت لـــ"حسني " أنها تحبه وأحست أنها أخطأت ثم سكتت ولـــم تستقبله بوجهها (خيل إليّ أنها ستتجمد)([5]) فهذه العبارة هي وصف من الراوي لحالة زينب النفسية، وقد جاءت هذه العبارة ملتحمة بالقص .

---

(١) السابق– ص ١١٩
(٢) السابق – ص ١٢٣
(٣) السابق – ص ١٤٠
(٤) السابق – ص ١٤٦
(٥) شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع – ص١٢٨

والحوار الصامت الخفي من الوسائل التي استخدمها الكاتب مع الحوار الصريح الجهوري؛ لذلك يأتي الحوار الصامت في شكل مونولوج داخلي، يعبر عما يعتمل في نفس شخصياته، وهو كثير في الرواية.

وشاهد ذلك الحوار الذي دار بين بطل الرواية وعم غانم قبل ظهور نتيجة البكالوريا، وأن (عم غانم) لم يقصر معه، ولم يكلفه من الأعمال ما يشغله عن المذاكرة، وإنه كان دائما ما يحضه على المذاكرة فيقول: (....فأرفع رأسي من إطراقي المستحي وأنظر إليه بعيني المستديرتين اللتين تكادان أن تقولا له: أنت كذاب يا عم غانم. وأطلب من الله النجاة !!)([1])

من ذلك الحوار الذي دار بين بطل الرواية وخاله ومضمونه إنه لابد أن يترك بيت عم غانم ويبحث عن سكن جديد، وهنا تذكر البطل الموقف الذي رأى فيه عم غانم مع امرأة ليست زوجته، وظن إن هذا السبب هو الذي جعل عم غانم يطلب من خال البطل أن يترك (حسني) البيت فدار هذا الحوار الصامت في نفس بطل الرواية(– لقد أبدى عمك غانم رغبة في أن تترك منزله، ...فغاب لوني وخفق قلبي وسارعت أسأل خالي :

- **وما السبب ؟ فقال وقد رفع من حاجبيه متعجبا :**
- **السبب هو إنه حر**
- **ألست معي إنه حر ؟...هيه ...ثم ألست الآن رجلا يا حسني ؟**

ولكن شيئا واحدا ظل يلهب عقلي بسوط الحيرة:

"ماذا وراء الستار ؟ هل هناك امرأة؟!"

لكنني لم أستطع أن أسأل خالي !!.)([2])

فعبارة (ماذا وراء الستار ؟هل هناك امرأة) حوار صامت .

(١) السابق – ص ٥٦
(٢) السابق – ص ٦٨

خاتمة البحث

أولا :نستطيع أن نقول بعد دراسة منظور القص في رواية (شـجرة اللـبلاب) : إن الأديـب محمد عبد الله كـان مـن الأوائـل الـذين اسـتخدموا أسـاليب التعبيـر الحديثـة،مثل المنظـور الأيديولوجي،المنظور النفسي و، لمنظور الموضوعي، المنظور علـى مـستوى المكـان والزمـان والمنظور على المستوى التعبيري

وكذلك الأسلوب المباشر، الأسلوب الحر غير المباشر، الحوار الصامت، واستطاع توظيفها في الرواية، كما استفاد من المدرسة الكلاسيكية الواقعية وتجاوزها.

ثانيا : كشف الروائي باستخدامه المنظور عن اختلاف وجهات النظر بهدف توثيـق العلاقـة بـين الروائي والقارئ

ثالثا: استطاع الروائي باستخدام المنظور أن يشخص الحدث الروائي ويقدم عملـه الروائـي عبـر منظور سردي يعالج علاقات السارد بالآخرين.

رابعا : استخدام الروائي المنظورات المتعددة في الرواية قضى على تحكـم المنظـور الأيـديولوجي وحده المخصص للحقيقة الواحدة في العمل الروائي وخنق المنظورات الأخرى .

خامسا: استطاع الروائي توظيف المنظور بأنواعه في الكشف عما يعتمـل فـي نفـوس شخـصيات الرواية، وبخاصة الصراع النفسي الذي كان يعاني منه بطل الرواية في موقفه من المـرأة وحكمـه الجائر عليها بسبب زوجة أبيه ورؤيته لها وهى تخون والده مع ابن عمها، فكانت صدمة له جعلتـه يصدر أحكاما عامة على المرأة،فهو إن آمن بالحب في خياله ينكره في الواقع .

ملخص البحث:

موضوع هذا البحث هو منظور القص في رواية الأديب (محمد عبد الحليم عبد الله) وقـد تمـت الدراسة في مقدمة وخمسة مباحث:

وقد تناول المبحث الأول: المنظور الأيديولوجي

وتناولت في المبحث الثاني: المنظور النفسي

وجاء المبحث الثالث بعنوان: المنظور الموضوعي

وتناول المبحث الثالث: المنظور الموضوعي

وجاء المبحث الرابع بعنوان: المنظور على مستوى المكان والزمان

وتناول المبحث الخامس : المنظور على المستوى التعبيري

المصادر والمراجع

أولا المصادر:

شجرة اللبلاب – محمد عبد الحليم عبد الله – الهيئة العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع- ١٩٩٥

ثانيا المراجع:

١- ساسون سوميخ- ثلاثة فصول في أدب نجيب محفوظ – مكتبة السروجي – عكا ١٩٨٢

٢ – سعيد يقطين – تحليل الخطاب الروائي – المركز الثقافي العربي – ط٢ ١٩٩٣

٣ – سيزا أحمد قاسم – بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١ ١٩٨٤

٤ – لحميد الحمداني – بنية السرد من منظور النقد الأدبي – الناشر المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر – ط٢-١٩٩٣

٥ – لويس عوض – في الأدب الإنجليزي الحديث – مكتبة الأنجلو المصرية – ط ١٩٥٠

دوريات

١ – مجلة فصول – المجلد ١٥- العدد الرابع شتاء١٩٩٧ – بوريس أوسبنسكي وجهة النظر في الرواية على مستوى المكان والزمان